من ميامر على
عيد الغطاس المجيد

عيد الإبيفانيا

عيد عماد السيد المسيح

عند
القدّيس مار يعقوب السروجي

إعداد وتعليق
القمص تادرس يعقوب ملطي

من ميامر على عيد الغطاس المجيد (الإبيفانيا أو الظهور الإلهي)

عيد الإبيفانيا

عيد عماد السيد المسيح

عند

القدِّيس مار يعقوب السروجي

طبعة ثانية مزيدة

٢٠٢١

إعداد وتعليق

القمص تادرس يعقوب ملطي

كنيسة الشهيد مار جرجس بسبورتنج

كنيسة الملكة القديسة مريم والأمير تادرس

ساوث برانذويك – الولايات المتحدة الأمريكية

باسم الآب والابن والروح القدس

الله الواحد، آمين

اسم الكتاب: عيد الإبيفانيا (الظهور الإلهي) عند القديس مار يعقوب السروجي.

إعداد: القمص تادرس يعقوب ملطي.

تصميم الغلاف: كيرلس مجدي

الطبعة: الثانية مزيدة: ٢٠٢١.

الناشر: كنيسة الشهيد مارجرجس، سبورتنج.

كنيسة الملكة القديسة مريم والأمير تادرس ساوث براندويك – الولايات المتحدة الأمريكية.

المطبعة: مطبعة.

رقم الإيداع:

المصادر

١. الميمر ٧ "على معمودية الناموس وعلى معمودية يوحنا وعلى المعمودية التي أعطاها ربنا للرسل" (راجع نص بول بيجان ترجمة الدكتور بهنام سوني).

٢. الميمر ٨ على عماد مخلصنا في الأردن (راجع نص بول بيجان ترجمة الدكتور بهنام سوني).

٣. الميمر ٩ على المعمودية المقدسة (راجع نص بول بيجان ترجمة الدكتور بهنام سوني).

٤. الميمر ٢٧ على الغطاس أي عماد ربنا من يوحنا، مطبعة مصر بالفجالة تحت إشراف يوسف بك منقريوس، ص ٣٣٣-٣٤٣.

٥. الميمر ٢٨، على المعمودية المقدسة، مطبعة مصر بالفجالة تحت إشراف يوسف بك منقريوس، ص ٣٤٤-٣٥١.

٦. مار ملاطيوس برنابا: مختارات من قصائد مار يعقوب أسقف سروج الملفان، حمص، ١٩٩١.

٧. الكاتب: القديس باسيليوس الكبير الثلاثة مجلدات، ٢٠١١.

٨. الكاتب: كنيسة الملكة القديسة مريم والأمير تادرس، ساوث برانذويك، رسالة عيد الغطاس المجيد، عيد الظهور الإلهي، يناير ٢٠١٣م

9. Kollamparampil Thomas, Jacob of Serug's Homily on Epiphany, Gorgias Press, 2008.

10. Kollamparampil Thomas, Jacob of Serugh, Select festal homilies, Bangalore-India, 159-186.

عماد السيد المسيح ووليمة العرس الأبدي

منذ سقوط آدم وحواء في العصيان يسيطر على الإنسان الشعور بأن الله ساكن في سماواته وسط عظمته وجبروته وأمجاده يترقب أخطاء البشر ليعاقبهم. فهو القدوس الذي لا يطيق ضعف البشر سكان الأرض الذين يعجزون عن التخلص من شهوات الجسد وفساد العواطف وانحلال الحواس! لذلك كان كل ما يشغل البشر أن يلَّطفوا من الغضب الإلهي، حتى لا ينتقم منهم.

وقد جاءت إعلانات الله ونواميسه تؤكد شوق الله إليهم، ورغبته في الالتصاق بهم وشركتهم معه. فهو لا يعتزل عنهم في سماواته، بل ينزل إليهم ويبحث عنهم ليضمهم إليه.

يرى القديس مار يعقوب السروجي في ميمره "في حلول الرب على جبل سيناء والرمز إلى الكنيسة[1]" أن الرب دعا موسى النبي ليعلن له أنه يريد أن يخطب الشعب لنفسه، فتكون له العروس المقدسة. قدم لها الوصايا العشر كجواهر تتزين بها العروس. لكنها للأسف فضَّلت عنه العجل الذهبي عريسًا لها. فقد قال عنهم: زاغوا سريعًا عن الطريق الذي أوصيتهم به، صنعوا لهم عجلاً مسبوكًا وسجدوا له وذبحوا له، وقالوا: هذه آلهتك يا إسرائيل التي أصعدتك من أرض مصر (خر ٣٢: ٨).

الآن قد جاء كلمة الله متجسدًا، نزل إلى الأرض كمن جاء إلى بيت الخطيبة، يطلب يدها بنفسه ويقدسها ويجمَّلها، ليحملها إلى سماواته أي حجاله، تشاركه أمجاده.

في ميامره على عماد السيد المسيح والمعمودية المقدسة أبرز القديس مار يعقوب السروجي الآتي:

١. نزل الرب نور العالم إلى أرضنا لكي ينير الخلائق (البشر) ويجددها. وقد مرّ في مراحل العمر البشري مثل كل إنسانٍ: تمت المرحلة الأولى في أحشاء مريم البتول بالولادة، والمرحلة الثانية تمت حين عمده يوحنا في نهر الأردن.

٢. لم يرَ يوحنا المعمدان الابن إلى أن عمده، حتى لا يُقال إنه صديقه. وقد شهد بأنه حمل الله الحامل خطايا العالم.

٣. عمده يوحنا في صمتٍ لئلا يعرفه الشيطان. لكن الآب تكلم، قائلاً: هذا هو ابني حبيبي، لتتعرف العروس على حقيقة عريسها، مؤكدًا لها لاهوت السيد المسيح. تكلم الآب شخصيًا، ولم يستعر صوت الملائكة أو الأصوات الطبيعية الأخرى، كما في بقية ظهورات الرب.

٤. قدس المسيح المياه، ولم تقدسه المعمودية مثل البشر. لم ينزل الروح القدس ليقدس الماء، إنما نزل بعد أن اعتمد يسوع لنتمتع بظهور الثالوث القدوس وحبه العجيب للبشرية وخطته لنا على المستوى الأبدي.

٥. يتكلم القديس مار يعقوب السروجي عن المعموديات في الناموس التي لم تكن تعطي الروح ليحل ويسكن فينا.

---

[1] راجع مار ملاطيوس برنابا: مختارات من قصائد مار يعقوب أسقف سروج الملفان، حمص، ١٩٩١، ص ٢٠ الخ.

٦. يقارن القديس مار يعقوب السروجي بين معموديات الناموس ومعمودية يوحنا ومعمودية المسيح التي هي **المعمودية الحقيقية**، وقد جاءت المعموديات التي قبلها ترمز لها.

٧. كانت العروس تنتظر المسيح وتعرفت عليه بعد اعتماده، وحالاً بدأ المسيح يحارب رئيس الهواء في القفر لحساب عروسه.

٨. يقدم لنا القديس مار يعقوب السروجي حوارًا جادًا مع ابنة العبرانيين التي ستأخذ محلها الكنيسة بنت الشعوب.

٩. خطب المسيح الكنيسة، وغسلها بالماء من درن عبادة الأصنام وألبسها حلة المجد في حضن المعمودية.

١٠. ظنت الكنيسة أن يوحنا المعمدان هو العريس، فأوضح لها يوحنا بأنه مجرد الصوت الصارخ أمام العريس القادم الذي كان قبله، ولا يستحق أن يحل سيور حذائه. وقد تعجب يوحنا، لأنه وضع يده على اللهيب ولم يشتعل.

١١. علَّم السيد المسيح يوحنا أن يعمده في صمتٍ. لم يدرِ باسم من يعمده، هل باسم الآب؟ فإنه معه، أم باسم الروح القدس فهو يشهد له؟

١٢. تطالب الكنيسة داود وزكريا أن يفسرا لها نبوتيهما عن الابن الذي أشرق اسمه فارتج الأردن أمامه.

١٣. انتهى كهنوت لاوي بيوحنا المعمدان، وبدأ كهنوت العهد الجديد بعماد السيد المسيح. لم يضف الكهنوت اللاوي شيئًا إلى طبيعة السيد المسيح.

١٤. طلبت الكنيسة من القديس مار يعقوب السروجي أن يؤلف ميمرًا، لذا لم يقدر أن يصمت، لكنه يدعو إلى وليمة العروس، ويستفسر قائلا: ما هي المعمودية وهو يعدد صفاتها مستنداً إلى العهدين القديم والجديد.

١٥. تجعلنا المعمودية أبناء لله الساكن في موضع لا يدنو منه الملائكة ولا البشر. صارت المعمودية أمّا لنا بدل حواء. ويدعو المعتمد الله أبًا له وقد صار أخًا للسيد المسيح.

١٦. يحسب القديس مار يعقوب السروجي أن ميمره عن المعمودية لحنًا ينشده لانتصار الكنيسة.

١٧ . يقدم لنا القديس في قصيدته "على عماد مخلصنا في نهر الأردن" اشتراك الكل في وليمة العرس العجيبة:

أ. شق **صوت الآب** السماء وشهد له.

ب. تحرك **الروح القدس** بكونه إصبع الآب واستقر عليه حتى لا يظن أحد أن صوت الآب يخص آخر غير يسوع المسيح.

ج. قدمت **الطبيعة غير العاقلة** له تسبحة بلغتها. فالسحب تجمعت لتكوِّن خدرًا للعريس، والضباب تجمع ليصير كستائر لقصره الملكي عند صعوده من النهر. وأضاءت البروق على الأرض، لأن شمس البرّ نزل إلى مياه الأردن ليقدسها.

د. **التهبت المياه كما بنار الروح القدس** لتعلن تقديس المعمودية عبر الأجيال القادمة.

هـ. **تناغمت دهشة الكنيسة مع دهشة السمائيين،** إذ طلب السيد من خادمه أن يضع يده على رأسه.

و. في صمتٍ مع حيرة **مدّ المعمدان يده** وهو يراقب الطقس السماوي الفريد لعماد السيد المسيح.

ز. استدعت الكنيسة بعض **أنبياء العهد القديم** ليشرحوا لها ما سبق أن تنبأوا به عن هذا الحدث.

١٨. بنزول السيد المسيح إلى الأردن ليعتمد أنهى سلطان الكهنوت اللاوي الذي سلمه لموسى على جبل سيناء، وقدم الكهنوت الجديد لتلاميذه ورسله.

عرس سماوي فريد!

العريس يُعدّ حفل الزفاف عند الأردن في البرية

يبدو أن القديس مار يعقوب السروجي تصوَّر في عماد السيد المسيح، أنه انطلق إلى نهر الأردن حيث وُجِدت جماهير القادمين من كل كورة لتُقدم توبة عن خطاياها، وتتقبل العماد على يدي القديس يوحنا المعمدان. لكن شتان ما بين هذه الجماهير القادمة في ندامةٍ وحزنٍ على ما سقطت فيه من خطايا، وبين المسيا الرب ملك الملوك القادم ليقيم وليمة عرس مبهجة، أما العروس فتضم ليس شعبًا معينًا بل كل الشعوب.

جاءت الجماهير إلى يوحنا لتتقدم إلى الينبوع لتغتسل من ضعفاتها ومن رجاساتها ومن الفساد الذي حلّ بها بسبب عبادة الأصنام والرجاسات، أي بسبب زناها الروحي. حملت رائحة نتانة المحرقات التي تقدمها للأوثان، فصب العريس عليها مياه المعمودية لتغطس فيها؛ وبروحه القدوس يستبدل الرائحة النتنة برائحته السماوية الذكية.

نزل بنفسه إلى الأردن لكي يوَّشحها ببِرّه، في رحم المعمودية، فتُحسب ابنة للآب وعروسًا للكلمة المتجسد ملك الملوك وهيكلاً للروح القدس. إنها وليمة عرس سماوية فريدة ومجيدة!

❖ أعدّ المسيح العريس حفل الزفاف لكنيسة الشعوب، وشعر العالم بوليمة الزفاف التي هيأها لها.

أراد الابن الملك أن يخطب المعذبة، فأرسلها لتذهب إلى الينبوع لتغسل غبارها.

رأى أن المضطَهَدة الضعيفة هزيلة ومتعبة، فمزج المياه، وأرسلها لتغتسل ثم تُخطب.

نظر إلى جمالها الذي فسد ببخور الأصنام، وصبَّ على وجهها فيض الأنهار ليجمل لونها.

إذ خطبها انزلها أولاً إلى المياه الفاحصة، ليطهرها من زناها بالقداسة.

فاحت عليها رائحة ذبائح المحرقات (الوثنية) المركزة فيها، وصب عليها المياه الشافية ليطيب جسمها. كانت قد فسدت من نتانة المحرقات، فرشَّ عليها القداسة لتطهر به من التلوث.

وضع حلة المجد في رحم المعمودية، وأرسل العروس لتنزل وتلبسها من المياه.

القديس مار يعقوب السروجي

القديس يوحنا المعمدان يدعو العروس ويزينها

إذ كانت الجماهير تلتف حول القديس يوحنا المعمدان، دعاها القديس مار يعقوب السروجي "ابنة المتسولين"، لأنها انحرفت عن عبادة الله واهب الكنوز السماوية والتصقت بإبليس الذي جعل منها أشبه بإنسانة مُعدمة متسولة.

جاءت ابنة المتسولين إلى المعمدان بكونه صديق العريس القائل: "من له العروس فهو العريس، وأما صديق العريس الذي يقف ويسمعه، فيفرح فرحًا من أجل صوت العريس، إذًا فرحي هذا قد كمل" (يو ٣: ٢٩).

دعاه العريس للعمل من قبل الحَبَلْ به، ليكون السابق الصابغ الذي يعد له الطريق أمامه (مر ١: ٢). ودعا

المعمدان الجماهير لتنعم بالكنز الإلهي، قائلاً "توبوا، لأنه قد اقترب ملكوت السماوات" (مت ٣: ٢).
دعا المعمدان الفتاة (الجنس البشري) لتتزين بالتوبة وتبتهج بالإيمان بالعريس الملك القادم إليها.

❖ دعا صديقه الأمين ابن العاقر، وأرسله أمامه ليذهب ويجلب زينة للعروس إلى أن يأتي.
خرج يوحنا وهو حامل ثروة الكنز العظيم، ليزين ابنة الفقراء كما أُمر.
أخذ صندوق الثياب الروحي، وفتحه فوق المياه، وأخرج الثياب لتلبسها الكنيسة في قداسة.
أظهر لها الثياب العجيبة التي لم تشاهدها، والتي كانت قد أُعدت بنسيج المسكن الإلهي.
سباها بأحاديثه الصريحة الحاملة الوعود، وهو يكرز بملكوت السماوات لابنة المتسولين.
"هوذا قد اقترب ملكوت السماوات" (راجع مت ٣: ٢)، جاء العريس بنفسه عندك لتبتهجي به.
دعا الفتاة فهيأت نفسها للتزين، لأنها علمت بأن القادم إليها هو العريس الملك[١].

القديس مار يعقوب السروجي

إشعياء النبي معلم العروس

تعرفت الجموع على شخصية القديس يوحنا المعمدان الذي سبق أن تنبأ عنه إشعياء النبي، قائلاً: "عزوا، عزوا شعبي، يقول إلهكم... "صوت صارخ في البرية، أعدو طريق الرب، قوموا في القفر سبيلاً لإلهنا؛ كل وطاءٍ يرتفع، وكل جبلٍ وأكمة ينخفض، ويصير المعوج مستقيمًا، والعراقيب سهلاً" (إش ٤٠: ١-٤؛ مت ٣: ٣).

تحققت من شخصه إذ لاحظت أنه نشأ في البرية القاحلة، لكن كلماته غنية؛ منظره متواضع، أما كلماته فذات سلطانٍ في آذان الجميع. لا يملك شيئًا، بينما يكرز بكنوزٍ سماوية علوية.

❖ دعت إشعياء لتتعرف منه على يوحنا: من هو هذا الذي يبشرني بملكوت العلي؟
هلم أيها النبي، اشرح لي عن الكارز، لأنني محتاجة لأتعلم منك الحقائق.
إنني أقبل كلمتك لكونها من أجلي، لأنني سمعت مقالة خبرك منذ مدة طويلة.
بنبوتك جعلتني أنتظر العودة، فهلم وانظر: هل حان وقت دخولي؟
انظر ما هو خبر هذا الذي يكرز بأمور خطيرة، بينما هو نفسه يظهر في فقرٍ.
منظره متجرد، وصوت كرازته غني، وشكله متواضع، وكلمته قوية في آذان الجميع.
حين رأيت هذا الرجل لم يتكلم حسب قامته، والوعد الذي يغرسه في أذنيّ ليس بوضيعٍ مثله.
كلمته مهيبة جدًا بينما هو لا يملك شيئًا قط؛ يجول في القفر ويبشرني بملكوت العلي.
أخبرني أيها النبي: هل هو صادق فأسمع كلماته، ولو كان غير صادق لا أضل به كما (ضللت) بالبقية.

---

[١] راجع الميمر ٨ على عماد مخلصنا في الأردن (راجع نص بول بيجان ترجمة الدكتور بهنام سوني)؛ الميمر ٢٧ على الغطاس أعني عماد ربنا من يوحنا، قبطي ٣٣٣-٣٤٣؛ *Kollamparampil Thomas, Jacob of Serug's Homily on Epiphany, Gorgias Press, 2008*.

سيأتي ربك وأنا مستعدة أن أحضر أمامه، فاكشف لي الحقيقة لئلا تصير ملامًا[1].

القديس مار يعقوب السروجي

إشعياء يرد على الكنيسة

أكدّ النبي إشعياء أن الكارز على شاطئ نهر الأردن هو صديق العريس وأمين سرّه، وطالبها أن تسمع له، تذهب وتنزل وتغتسل، لأن يوحنا هذا يهيئ الطريق للملك القادم، الذي يخطب البشرية عروسًا له.

❖ اقترب إشعياء ليُعرّف الكنيسة بيوحنا المعمدان، (وقال): إذ هو أمين سرّ العريس ربك، اقبلي كلماته. هذا هو الصوت الصارخ في البرية أمام ابن الملك، أعدي الطريق للرب بالإيمان.

اذهبي وانزلي واغتسلي ولا تحرمي نفسك من الكارز الذي يقوّم المنحدرات ليهيئ الطريق للملك القادم[2].

القديس مار يعقوب السروجي

ظنت الكنيسة بأن يوحنا هو العريس

تقدمت العروس من صديق العريس، وإذ غسلها ونقّاها وطهرّها وقدّسها خلال كرازته بالتوبة، وإعلانه عن الإيمان بالعريس القادم، دُهشت لشخصيته العجيبة، وظنَّت أنه العريس الذي خطبّها لنفسه. وإذ كان المسيَّا مختفيًا عنها بتأنسه وتأكيد تجسده حسبت يوحنا العبد ملكًا.

كان صديق العريس مخلصًا في عمله، فصرخ بكل قوة: "لست أنا العريس!" أراد أن يُحول عينيها عنه، لتترقب العريس، فقال: "لست مستحقًا أن أحّل سيور نعليه" (مت ٣: ١١؛ مر ١: ٧؛ لو ٣: ١٦)، محتفظًا بالرئاسة لربه. بكل وضوح قال: "يأتي بعدي من هو كان قبلي".

❖ اقتربت الكنيسة عروس الملك من يوحنا، وشرع يغسلها وينقيها ويطهرها ويقدسها.

صار مؤتمن عليها، إذ تعب في تزيينها قدر المستطاع، وعلمها وجعلها حكيمة ليُصلح شأنها لأنها كانت مبلبلة. سمعت صوته، واهتمت بكلماته، وظنت أنه هو العريس الذي خطبها.

بمحبتها اعتبرت العبد مثل السيد، لأن المسيا كان مختفيًا عنها بين الأسباط.

رأى الصادق (يوحنا) أن العروس التي خطبها متمسكة به، وشرع ينفض حضنه، ويصرخ: "لست أنا العريس". أبعدها عنه لئلا تضل به لأنه عبد، وشجعها أن تبقى تترقب العريس وهو بعيد.

وضع نفسه (قائلاً): "إني لست مستحقًا ولا لنعليه (مت ٣: ١١؛ مر ١: ٧؛ لو ٣: ١٦)، ليحفظ الرئاسة لربه مثل صادقٍ.

وجد بأن عين الصبية قد استقرت على النذير، فأسرع وأزال سبب الشك من فكرها.

---

[1] راجع المراجع السابقة.

[2] راجع المراجع السابقة.

ربطها بشرط لتنتظر العريس ولا تنظر إليه، وأعلن لها: "يأتي بعدي وهو أقدم مني" (مت ٣: ١١)[١].

القديس مار يعقوب السروجي

انتظار الكنيسة والمعمدان للعريس الحقيقي

بأحاديثه الصريحة وقف كثيرون من طالبي الحق، والمشتاقين إلى المسيَّا المخلص مع يوحنا، يفحصون بعيون قلوبهم لعلهم يتعرفون على العريس القادم إليهم. كان كثيرون يتلهفون نحو استقبال العريس الحقيقي، لكن تُرى ما هي علاماته.

شهادة يوحنا لمعلمه حمل الله الذي يرفع خطية العالم (يو ١: ٩)، أثارت تساؤلات الكثيرين في أعماق قلوبهم أو أفكارهم، لكن لم يجرؤ أحدًا أن يسأله علانية: كيف نتعرف على العريس؟

يرى القديس أنه كما جاء كلمة الله متجسدًا لكي يعلن لها حبه، هيأها السابق له لتقف عند المياه تنتظره، وتبسط يديها لتستقبله عند خروجه من العماد.

❖ بدأت تنتظر حتى تدركه إذ يأتي عندها، وكانت تفحص المعتمدين الواحد تلو الآخر.

كانت تُلقي نظرها بعيدًا على الكثيرين، لتجد بينهم الوحيد الجنس المخطوبة له.

عندما كان ينزل أحد للعماد، كانت تحيط به الجموع لتتفحصه (لترى): هل هو المسيا القادم.

اجتمعت الكنيسة ووقفت مع يوحنا في البرية، وهي تتفرس في ضيوف العرس لترى من هو العريس. دارت حول النهر، وألقت نظرها على جداوله الجارية، لتستقبل الخطيب الحقيقي من المياه. البهية واقفة تنتظر متى يأتي العريس، لتدخل معه إلى رحم المياه حتى تتقدس.

ذراعاها مبسوطتان وهي تنتظره حول المياه، لتستقبله بقداسة بعد عماده.

القديس مار يعقوب السروجي

يوحنا ينتظر العريس

مع التهاب قلوب البعض نحو استقبال العريس الحقيقي الذي يتحدث عنه القديس يوحنا المعمدان، كان الأخير يرفع عينيه نحو السماء أثناء العماد، منتظرًا أن يرى ويسمع من السماء من يشهد للعريس. أدرك يوحنا أن العريس واقف بين الجماهير، فألهب قلوب الكثيرين شوقًا نحوه!

❖ يوحنا أيضًا كان ينتظر متى يجيء، لتكتمل به معموديته لأنها كانت ناقصة.

كان يحفظ السرّ بينه وبين الآب، وكان ينتظر الروح ليشهد للصادق (المسيا).

عندما كان يضع يده ليعمد القادمين، اعتاد أن ينظر إلى فوق حسب الشرط الموجود هناك.

كانت عيناه تطيران على الكثيرين الموجودين عنده، ليرى إلى من يشير الروح عندما يُرسل.

---

[١] راجع المراجع السابقة.

كان ينتظر ذلك الطير المعلم في السماء كيف ينزل؟ وعلى من يستقر ليشهد له؟
كان ينتظر الجناحين السريعين حاملَي المعلومات الخفية...، ليرى من سيستقبلان من المياه!
كان في ظمأ ليشاهد الطير الذي يحلق دون أن يرفرف بجناحيه، وعندما يظهر يصير شاهدًا للمخلص.
أصغى إلى صوت الآب القدير، ليسمع منه عن مَن يصرخ: هذا هو ابني الحبيب!
العروس واقفة عند العبد ابن العاقر، وانتظرت منه متى يشير (قائلاً): هذا هو العريس!
التفتت إلى ذاك الذي يعلن لها عن المخلص، بينما كان هو ينتظر الآب ليشهد على حبيبه.
عندما كان يأتي أحد لينزل ويعتمد كانت تتزاحم حوله لتستقبله بمحبة فيما لو كان هو العريس.
كان يقول للجموع: هوذا العريس واقف بينكم. وهذا القول أضرم النار في العروس.
كان يكرز أيضًا: إنني لست مستحقًا حتى نعليه، فأضرمها أيضًا بمحبة يسوع وبهائه.

القديس مار يعقوب السروجي

العروس المزينة بجمال التوبة والمدعوون ينالون الثوب الأبيض بالروح القدس

يرى القديس مار يعقوب السروجي الجموع وقد نزلت إلى مياه الأردن لتنال معمودية يوحنا التي للتوبة. تمتعت بنوعٍ من الغسل النسبي والطهارة النسبية، لكن هذا العمل مع أهميته لم يكمل بعد. مع جمال التوبة غير أنها خرجت من المياه وهي أشبه بعارية، تترقب مجيء المسيَّا الذي يهبها ثياب الروح، ثياب بيضاء أو حلل الطهارة والمجد التي يقدمها العريس السماوي لعروسه، فتُحسب مقدسة!

❖ اندفعت عروس النور، ووقفت عند يوحنا، لكي عندما يظهر لها من هو العريس تسجد أمامه.
ألقت العروس عينيها على كل من أتى إلى العماد، عند صعوده (من الماء).
اعتمد الآلاف ولم ينزل الروح عليهم، وسبح الربوات، والنهر بارد من "الرفرفة".
نزلت الجموع والمياه كما هي، وصعد الكثيرون وصوت الآب خفي مثله.
لما اكتملت العروس بجمال التوبة، واغتسلت وصعدت من مياه المعمودية،
عندما تهيأت وليمة العرس مع كل مستلزماتها، تأخر العريس وحده في مجيئه لافتقاد خاصته.
لما تحقق الغسل للندماء وطهرهم، لم يكونوا لابسين ثياب الروح من المياه.
عندما كان جميع الشعوب واقفين عراة وينتظرون مجيء العريس ويُلبِسُهم،
عندما غُسل وسخ العروس بالمياه وصعدت، كان ينتظر كل واحدٍ الثياب البيضاء التي سيجلبها العريس.
عندما كانت المعمودية ناقصة من الغفران، ولم يكن قد استلم أحد روح القداسة من المياه[1].

القديس مار يعقوب السروجي

---

[1] الميمر ٨ على عماد مخلصنا في الأردن (راجع نص بول بيجان ترجمة د. بهنام سوني)؛ الميمر ٢٧ على الغطاس أعني عماد ربنا من يوحنا، قبطي؛ *Kollamparampil Thomas, Jacob of Serug's Homily on Epiphany, Gorgias Press, 2008*.

لماذا بدا العريس كمن تأخر

إذ افتتح القديس يوحنا معمودية التوبة، وتجمعت جموع كثيرة حوله بدا كأن العريس قد تأخر، **فلماذا هذا التأخير؟**

١. لكي يعطي الفرصة ليوحنا كي يكرز به، ويلهب القلوب لرؤية العريس والاشتياق إليه.

٢. كي ينتظره عند شاطئ النهر حتى يخرج العريس المختفي بين الجموع.

٣. يرى القديس أن مياه الأردن كانت كمن تغلي في مشاعرها، تترقب العريس العجيب القادم. وإذ سمع النهر شهادة يوحنا فاض بالمياه يُعلن ترحيبه بالعريس. حدث صمت بعد شهادة يوحنا، وكأن النهر قد أعلن أنه يترقب في دهشة كيف يعتمد فيه. إن كنا نعيد بعيد عماد السيد المسيح أو عيد الظهور الإلهي (الإبيفانيا)، فالقديس يرى كأن النهر نفسه تهلل بعيدٍ فريدٍ عجيبٍ.

٤. عبَّر النهر بتهليلٍ بالعيد حيث فاضت مياهه في صمتٍ عجيبٍ. واشتعلت بنيران الروح القدس بين جداوله الجارية. غلت المياه بنيران الروح القدس لا لتقدس المسيح القدوس، إنما لتتهيأ أن تحتضنه وتتقدس فتنجب أولادًا لله.

٥. أدرك يوحنا ما حلّ بالمياه التي تهيأت لاستقبال العريس فيها، وتتقبل قداسته عاملة فيها. لهذا صرخ في الجمهور ألا ينزل أحد في المياه سوى العريس، بل وسحب يده لكي لا يمدها على رأس العريس القدوس.

٦. انسحبت الجموع لتفتح الطريق للعريس حتى ينزل وحده في نهر الأردن بكونه العريس وحده.

❖ عندما كان كل العرس ينتظر العريس أين هو، خرج ابن الملك من بين الجموع ليأتي إلى النهر.

حين كان بعيدًا غلت مياه المعمودية إزاءه، وفاض النهر، وأعلن عنه بالصمت.

خرج الروح القدس، ووقف على المياه، وقد أضرمتها حرارة عزته.

اشتعلت ناره بين جداوله الجارية قبل أن ينزل، وتهلل النهر بغليان اللهيب العظيم.

اشتاقت إليه مياه المعمودية، لأنه جاء إليها (مثل اشتياق) قرن المسحة إلى داود.

غلت عند وصوله لا لتقدسه، لأنه هو قدوس، لكنها احتضنته ليتقدس به رحمها.

ابتهجت به، لأنه كان مكملها وخاتمها، فبسطت ذراعها، لتُستقبل فيه قداسة الابن.

لاحظ يوحنا النهر يغلي وجداوله تتغير، فعرف أن ذلك القدوس جاء إلى العماد.

سحب يده لئلا يعمد الذين يأتون، حتى يتقدم ويقف العريس المسيح وحده.

صرخ في الجموع وسحبهم من شاطئ النهر، ليعرف كل واحدٍ لمن غلت مياه المعمودية.

دفع القطيع ليبتعد عن الينبوع. حتى يميز ويخرج الحمل الذبيح من بين القطيع.

أشار إلى الندماء، ففسحوا له المجال بين الجموع، ليظهر العريس لجميع الشعوب بالمجد.

الجموع التي كانت محيطة بمياه المعمودية هربت، ووقف ابن الملكوت وحده وحيدًا[1].

القديس مار يعقوب السروجي

يوحنا يعلن عن المسيح للكنيسة

أعلن يوحنا للكنيسة عن شخص عريسها الذي يرفع خطية العالم كله بتقديم نفسه ذبيحة إثم عنها.

❖ ركض العبد الصادق ليبشر الحرة بالمخلص، ودعا (المخلص) يظهر لها بأنه ربها.
أيتها الكنيسة لقد خطبتكِ منذ البداية لهذا العريس، ومنذ أن أتيت كنت أعلقك بالرجاء فيه.
هذا هو الحمل الذي قدم نفسه ليصير ذبيحة؛ هذا يحمل خطيئة العالم بذبيحته.
منذ مدة طويلة جعلتكِ تتكلين عليه، ومن أجله حفظتكِ برعايةٍ خاصة كعبدةٍ أمينةٍ.
فاشكريه بسببي، لأنني لم أتركك تُسبين من قبلي[2].

القديس مار يعقوب السروجي

داود يشرح للكنيسة عن العريس

إذ شهد القديس يوحنا عن العريس، أمسك داود الملك والنبي قيثارته ليعزف في حفل العُرس أنشودة تروي بتهليل سرّ بهجة العرس. أنشد داود النبي ما سبق أن تنبأ عنه في المزمور الخامس والأربعين (مز ٤٤ *LXX*). يوحنا شهد عن شخص العريس، وداود دعا العروس للاتحاد بعريسها الأبدي، قائلاً: "اسمعي يا ابنتي وانظري وأميلي أذنك وانسي شعبك وبيت أبيكِ. فيشتهي الملك حسنك، لأنه هو سيدك فاسجدي له" (مز ٤٥: ١٠-١١).

❖ وإذ كانت تُثقف عروس الملك من قبل يوحنا، هوذا داود مرتل الروح يقترب ويغني لها.
اسمعي يا بنتي وانظري وأصغي بأذنك إلى الأمجاد؛ وانسي شعبك وبيت أبيك لأنهم منقسمَون.
نعم بالحقيقة إنه ربك؛ فاقتربي واسجدي له؛ ولا تنقسمي بخصوص المخلص الذي جاء إليك.
تعلمت الكنيسة من يوحنا كما من داود، وتأكدت بأنه العريس الذي خُطبت له.
اقتربت ووقفت لترى كيف يعتمد هو أيضًا، لتقع أمامه (ساجدة) بعد صعوده من المياه[3].

القديس مار يعقوب السروجي

---

[1] راجع المراجع السابقة.

[2] راجع المراجع السابقة.

[3] راجع المراجع السابقة.

يوحنا يرفض أن يعمد المسيح

اقترب السيد المسيح من القديس يوحنا المعمدان، وإذا بالأخير يسحب يده عن الناري. إذ كيف يمكن للهشيم أن يقترب من اللهيب الإلهي ويعمده؟ كيف يمكن للترابي أن يعمد السماوي؟

لم يكن يتوقع يوحنا أن يجد من أرسله يتقدم ليتعمد منه، للحال في رهبةٍ وبخشوعٍ أحنى رأسه قدامه، معترفًا: يلزمني أن أعتمد منك، فكيف تأتي أنت إليّ؟ كان يظن المعمدان أن ما يمارسه إنما عمل مؤقت، متى جاء القدوس الكامل ينسحب ليقوم القدوس بالعماد. إذ يليق به أن يترك الموقع للذي أرسله، صاحب السلطان.

إذ طلب السيد المسيح العماد تعجب المعمدان، كيف يطلب ملك الملوك شيئًا من إنسانٍ فقيرٍ؟!

لماذا يطلب الكامل المعمودية، هذا الذي بلا خطية يهب الغفران، فما حاجته للعماد؟ إنه رئيس الكهنة السماوي، وملك الملوك. هو الذي يقَّدس رؤساء الكهنة، ويقيم الملوك، ويقَّدس الخطاة؟ ماذا يقدم نهر الأردن الصغير لخالق السماء والأرض؟ ارتعب المعمدان، وخجل من تواضع السيد.

❖ اقترب المسيح من يوحنا ليعتمد منه، ورآه يوحنا وسحب يده عن الناري.

أحنى رأسه قدام الابن، وهو يقول له: يلزمني أن أعتمد منك لأنك القدوس (مت ٣: ١٤).

كنت انتظرك لأسلمك المعمودية، هوذا كنزك لك، واتركني إذًا أستريح قليلاً.

أنا نائب، وليست لي الرئاسة، فقم على درجتك، وليس لي سلطان على ولايتك.

لا يأخذ الملك السلطان من متسولٍ، بل من التاج تصدر أنظمة كل السلطات.

ماذا في المعمودية ليس هو مُلكك؟ وماذا يعوزك لتنزل وتناله من المياه؟ منك يجري للبشرية: الكفارة والمغفرة، ومُلكك هو غفران الذنوب.

موجود فيك: الكهنوت لأنك رئيس الأحبار، والملوكية فأنت تهب التيجان للملوك.

منك تجري القداسة للبشرية، والكهنوت للعالم القائم بيمينك.

هوذا ملء اللاهوت عندك، ماذا يملك النهر الصغير ليكملك به؟[1]

القديس مار يعقوب السروجي

المسيح يعتمد لشفاء آدم

لم يكن السيد المسيح في حاجة إلى شيءٍ، فهو الكامل بذاته، لا يعوزه شيء خارج عنه. هذا ما أدركه القديس يوحنا المعمدان. لكن محبة السيد المسيح أنزلته إلى الأرض التي أفسدتها الخطية، يطلب صورته التي فقدها بنو البشر. إنها اللؤلؤة الكثيرة الثمن، يود أن يردها للإنسان الذي أفسدته الخطية. يود أن يوشح البشر ببرّه عوض العري الذي لحق بهم. إنه عمل الحب الذي أنزله ليغوص في أعماق الجحيم يبحث عن لؤلؤته ليقدمها لله الآب، إنها موضع سروره! بهذا يُدخل المخلص آدم وبنيه إلى ميراثهم.

---

[1] راجع المراجع السابقة.

❖ قال ربنا: لا ينقصني إلا شيء واحد: أطلب أن أجد آدم المفقود مني.
أسمح لي أن أنزل لأبحث عن آدم الصورة البهية، وإذ أجده تكمل كل إرادتي.
فتشت عنه بجدية عظيمة ولهذا أتيت، إنه لنقص لو لم أجد الضائع.
يعوزني فقط استرداده، حتى أسترد آدم الذي أراد أن يهلك بيدي الشرير.
بوجوده تكمل إرادتي، لأنه يعوزني أن يدخل آدم إلى ميراثه.
لهذا اسمح لي أن أنزل لأنظف الصورة التي تلاشت، لئلا تصير ناقصة إن منعتني[١].

القديس مار يعقوب السروجي

النعمة التي دعت الرب إلى الولادة دعته ليعتمد

لا ندهش أن يقبل السيد المسيح العماد من أجلنا ولحسابنا. فبحنوه في تواضع قبل كلمة الله أن يتأنس ويصير جنينًا فطفلاً، وينزل إلى الأردن ويعتمد. فلو ظن يوحنا أنه يكرَّم السيد المسيح بامتناعه عن عماده، لكان يكرمه بعدم تجسده. الذي نزل إلى رحم البتول وتأنس، نزل إلى مياه الأردن واعتمد.
لقد قبل كلمة الله طريق التأنس، لذا أكمل الطريق كإنسانٍ، مع أنه هو الله الحق بلاهوته.

❖ ذلك الحنو الذي دعاني أن أجيء إلى الميلاد، دعاني مرة أخرى لأجيء إلى العماد.
جذبتني الرحمة العظيمة لأنزل وأصير طفلاً، وهي نفسها تجذبني لأنزل وأعتمد.
رحم المعمودية ليس أضيق من البطن، وليست مياه النهر أكثر ظلمة من الرحم.
إن كنت تظن بأنك تكرمني، لكان يجب عليك أيضًا أن تمنعني من البطن والولادة.
لو كان العماد إهانة لي، أي وضع هو أكثر ذلاً: البطن اللحمي، أم عظمة المعمودية؟
لو منعتني من المجيء إلى البطن، وأنت في (بطن) أمك، لكان من السهل أن تمنعني من العماد. لو نزعتني من درجة الولادة، فهلم أبعدني عن نظام المعمودية.
لو جنبتني الأقماط لئلا أُلفّ بها، فأبعد عني أمواج النهر لئلا تغطيني.
لو منعتني من رضع الحليب البسيط، لكنت تمنعني من النزول إلى الينبوع.
لو منعتني من الحلول في رحم مريم، لكنت أتجنب رحم المعمودية.
والآن بعد أن مشيت في طريق المولودين، كيف يمكن أن أعود منها ما لم أكملها؟
وهكذا يليق بي كما أُرسلت أن أكمل المسيرة التي من أجلها نزلتُ[٢].

القديس مار يعقوب السروجي

---

[١] راجع المراجع السابقة.
[٢] راجع المراجع السابقة.

لا تصير لك إضافة من المعمودية، فلماذا تهتم لتنزل وتغتسل؟

على لسان القديس يوحنا المعمدان يؤكد القديس مار يعقوب السروجي أن عماد السيد المسيح ليس عن نقصٍ في شيءٍ ما، إذ هو الكلي الكمال. يحتاج البشر إلى المعمودية ليتقدسوا ويتمتعوا بكنوزها، أما يسوع فهو ملك الملوك الأزلي، غير المتغير.

❖ تراجع يوحنا، وخاف من ابن الملك، وسجد له وشكره متوسلاً بصوتٍ عال (وقال):

لا أقدر يا رب أن اقترب منك، لأن الهباء أضعف من أن يضع يده على اللهيب.

كيف يقدر القش أن يقبض على اللهيب، والعود الجاف أن يلقي يده على الجمرة؟

غليان نارك اضطرم في النهر، وها هو يحرقه، فكيف إذًا لا يحرق يدَي اللحميتين؟

لا يلزم أن تعتمد مني مثل ناقصٍ، لئلا يحدث شك في العالم ويدَّعي أنك ناقص.

اذهب يا ابن الملك وخلص المسبيين الذين ينتظرونك، فلا ينقصك سلاح لتأخذه من المياه.

تاجك موجود منذ الأزل ولا يتغير، وأنت لا تمتلئ من كنز المعمودية.

استمر في طريقك، فهوذا المسبيون متعطشون ليروك، وأنت لا تنتظر صحبة أحد ليرافقك.

أنت مولود على أرجوان الآب من جوهره، ولا تحتاج أن تلبس من هنا لكي تخلص. إنه وقت مناسب على الأرض، فلا تؤخر الخلاص، فاخرج واذهب وأنقذ سبي الشعوب من المضطهدِين.

يا ملك الملوك، واحدة هي مملكة الآب ومملكتك، فمن جهة قوتك أنت لا تقوى من هنا على السلاطين.

هوذا السبي قد اجتاز منطقة الأمان، لماذا تنتظر؟ تقدم ورد السبي من العثرات التي سقط فيها؟

هوذا اللصوص قد سرقوا البلد، أسرع خطاك واخرج، واذهب ورد السبي الذي خرج من ولايتك.

لا تصير لك إضافة من المعمودية، فلماذا إذًا تهتم لتنزل وتغتسل؟[1]

القديس مار يعقوب السروجي

المسيح يؤكد بأن المياه محتاجة إلى التقديس

على لسان السيد المسيح يوضح القديس أن مسيحنا لم يكن في حاجة إلى شيءٍ، إنما نزل إلى النهر ليعتمد للأسباب التالية:

١. البشرية في حاجة إلى عماده، إذ بنزول القدوس إلى مياه الأردن يعتمد تقدست المعمودية، وانفتح طريق القداسة للمؤمنين به.

٢. المؤمنون في حاجة إلى سلاحٍ لمقاومة إبليس كما في معركة. بنزول السيد جعل المعمودية مخزن أسلحة روحية يتسلح بها المؤمنون في معركتهم ضد إبليس.

٣. بنزوله كشف عن نفسه كقائد للمعركة ضد إبليس، يقيم من المؤمنين به جنودًا أبطال وبواسل.

---

[1] راجع المراجع السابقة.

٤. في المعمودية تتحول المياه إلى كور نار، روح الله القدوس الذي يعيد خلقتنا على صورة خالقنا. يصيرون عملة الخالق القدوس عوض فسادهم، إذ صاروا بالخطية عملة إبليس يحملون صورته فيهم.

٥. في المعمودية يُدفن ويقوم، فيهب مؤمنيه الخلود بقوة قيامته.

٦. به يصير رحم المعمودية خصبًا، يلد أبناءً لله الآب، فيتجدد العالم بهم.

❖ اصمت يا يوحنا، إنك لن تصنع لي إضافة، المياه محتاجة إلى التقديس بواسطتي.
لم أنزل إلى الينبوع لأخذ الترس لنفسي، بل لأصوغ سلاحًا عظيمًا للمحاربين.
إني أشتاق أن أُطهر البشرية في معركة الخطر، ليحارب مثلي كلُ من يأتي إلى المعركة.
أقيم المعمودية كمخزنٍ للسلاح، إن لم يدخل إليها أحد ويلبس منها (سلاحًا) لا يُحارب.
إن كنت اجتاز ولا أعتمد إذ تريد أن تمنعني، لن يقدر أحد أن يأخذ السلاح من المياه.
مثل قائد الجيش جذبت القيادة إلى المعركة، لأصير قدوة للقوات التي تأتي بعدي...
ولو لم يتشدد جيشي بقوتي من المياه، لا يواجهون الخطر العظيم مثل بواسلٍ.
هانذا أدخل إلى كور المياه وأنا غير محتاج، حتى يُصب الناس الذين فسدوا في قالبي.
إني أحثهم ليأتوا مثلي إلى الينبوع، ليُطبعوا روحيًا بموجب عُملة نقدي.
أُنزِل البشرية إلى قبر المياه، لأجعلهم خالدين في القيامة.
أدخلهم إلى الرحم الخصب ليُحبل بهم، ويلدهم ميلادًا جديدًا بدون مخاضٍ.
من العدل أن أعتمد منك فلا تتأخر، ها أنا أفتح الطريق، فالعالم ينتظر أن يتجدد بواسطتي[١].

القديس مار يعقوب السروجي

كيف أعمدك مثل البقية يا مُعمد الكل؟!

في الحوار الذي دار بين السيد المسيح والقديس يوحنا المعمدان كما يتصوره القديس مار يعقوب السروجي يقول المعمدان الآتي:

١. سبق وتحدث مع الجماهير القادمة إليه ليُعدها عروسًا للنور بأن عريسها هو ربها قادمًا ليعمدها بالروح القدس والنار، وها هي تنتظر هذا العماد على يديه، فكيف تراك تعتمد مني؟

٢. إني أخشى لئلا تظن الجماهير أنني كاذب، أو تظن أن بك نقص، وأنك محتاج إلى الغفران، وأنت هو غافر الذنوب!

٣. إني تعلمت طقس معمودية الخطاة، فأي طقس أمارسه حين أعمدك؟ هل أعمدك باسم الآب وأنت واحد معه، لا تنفصل عن حضنه؟ هل أعمدك باسم الابن وأنت الابن مقدس المياه؟ هل أعمدك باسم روحك القدوس،

[١] راجع المراجع السابقة.

وأنت واحد معه؟ كيف أمارس الطقس باسم أحد الأقانيم الثلاثة، كأنني أقَّسم بينهم وهم ثالوث لا ينقسم ولا ينفصل؟

❖ اقترب الضعيف عند القوي، وطلب منه (قائلاً): ربي، كيف يمكن أن يتم هذا؟

هذا ما قلته لعروس النور المخطوبة لك: العريس ربك يعمد بالروح القدس والنار.

ها هي تنتظرك لتعمدها كما علمتُها، كيف تقترب الآن وتراك تعتمد مني؟

اعترفتُ أمامها بأني لا أستحق حتى نعليك، فكيف أتجاسر أن أضع يديّ على رأسك؟

كنتُ أعمدها باسمك لتتزين بك، باسم مَن أعمدك أيها القدوس؟ لستُ أعرف!

هوذا كلمتي رهن عندها، وهي حريصة عليها، لأنني قلتُ لها: إنه يعمدك بالروح القدس.

كيف أخالف الآن كلمتي وأغير صوتي وأعمدك مثل البقية يا معمد الكل؟

سأُعتبر كذابًا وأنت ستصغر، وستظن العروس بأن في خطيبها نقصًا.

ماذا أقول عندما أعمد غافر الذنوب، وبأية تعبيرات أحترم طقس المعمودية؟

هل أعمد الابن باسم الآب؟ فها أنت في حضنه، ولا يوجد أقل نفخة صغيرة بينك وبينه؟

هل أستدعي الابن، فأنت وحدك مقدس المياه، وإذ أنت القدوس، لماذا تغسل قداستك في العماد؟

إن كنت تعتمد باسم الروح، كيف يمكنني أن أرشم المياه مقسّما إياه عنك، لأنك أنت مع الروح؟

الآب في ابنه، والابن موجود كله في أبيه، والروح الذي منه سلطان واحد بدون بلبلةٍ.

كيف أفعل هذا أنا الحقير وأصنع انشقاقًا في تلك الوحدة التي لا تتجزأ؟[1]

القديس مار يعقوب السروجي

يوحنا يعمد المسيح صامتًا

يرى القديس مار يعقوب السروجي أن السيد المسيح طلب من المعمدان أن يضع يده على رأسه في صمتٍ كاملٍ، وينصت ويرى ما يقوله الآب وما يعلنه روحه القدوس.

❖ يا يوحنا اترك الأسئلة واصمت، ولا تستفسر هنا عن هذه الأمور.

لم آتِ إلى المعمودية لكي تقدسني، ولا يلزم أن تقول شيئًا عندما أعتمد.

هلم وضع يدك فقط على رأسي صامتًا، ومن شأن الآب أن يقول ما يقوله عن ابنه.

ابسط يمينك لكي تظهر أنها تأتي عليّ، والروح يشهد للحق بدون أية كلمة منك.

القديس مار يعقوب السروجي

[1] راجع المراجع السابقة.

جمرة النار نزلت لتغتسل بين الأمواج!

ارتجف القديس يوحنا المعمدان وصمت. وترك ابن الله الوحيد المتجسد يعتمد حسب إرادته، وبقوة إلهية سجد له. كان يوحنا مرتعبًا للسرّ الذي يفوق كل فكرٍ بشريٍ، بينما لمس في النهر تهليله. وكما شعرت اليصابات بتهليل جنينها يوحنا أمام الكلمة المتجسد، شعر يوحنا بتهليل الأردن حين نزل القدوس الناري فيه. أدرك أن مياه المعمودية تصير أشبه بنارٍ سماويةٍ مضطرمةٍ عبر الأجيال. عماد هذا البهي العجيب أدهش يوحنا كما أدهش السمائيين. رأوا كأن البروق قد أحاطت به وسط المياه.

❖ لما صار ابن العاقرين مرتجفًا بسبب هذه الأمور، ترك الابنَ يعتمد حسب إرادته.
اقترب مرتجفًا، وسجد معترفًا، وبلغ إليه خائفًا، ففزع وتحير، وسندته القوة لئلا يضمحل.
جاء القدوس وبلغ إلى المياه لينزل ويعتمد، واضطرمت ناره في الأمواج وألهبتها.
رقص النهر فرحًا في رحم المعمودية الطاهر، مثل يوحنا إزاء ربه، وهو في اليصابات (لو ١: ٤٤). التهبت المياه ببرق اللهيب، لأن النار الحية جاءت إلى العماد لتغتسل فيها.
(النار الحية) ألهبت الأجيال بالنار وألقت لهيبها في الينبوع، وأضرم توهجها النهر في القداسة.
اختلطت المياه البسيطة بسمو القداسة، لأن الرحمة صدرت من القدوس وأشعلها.
جمرة النار[١] نزلت لتغتسل بين الأمواج، ونشرت هناك حريق قداستها.
جاء اللهيب ونزع الثياب التي كان يلبسها، ونزل ليلقي نارًا في مياه المعمودية.
تعجب السمائيون باغتسال اللهيب، عندما كان جسمه البهي يغتسل ليقدس المياه.
اختلطت جداول المياه المندفعة بأشعة النور، واضطرم النهر نارًا بالبهاء الحالّ فيه.
ضُربت قبة الأمواج من السيول، وأحاطت بها البروق من كل جانب.
وقع الخوف والحيرة العظمى على الخليقة، عندما نزل اللهيب ليعتمد من يوحنا.
سخن كل الهواء والتهب بطريقة مقدسة، لأن ابن القدوس نزل إلى العماد وهو غير محتاج[٢].

القديس مار يعقوب السروجي

---

[١] أي السيد المسيح *St. Ephrem: Commentary on the Diatessaron*.

[٢] راجع الميمر ٨ على عماد مخلصنا في الأردن (راجع نص بول بيجان ترجمة د. بهنام سوني)؛ الميمر ٢٧ على الغطاس أعني عماد ربنا من يوحنا، قبطي؛ *Kollamparampil T, Jacob of Serug's Homily on Epiphany, Gorgias Press, 2008*.

عظمة الاحتفال الإلهي بالعريس السماوي

صار نهر الأردن أشبه بحفلٍ سماويٍ مهوبٍ عند نزول السيد المسيح فيه، جاء فيه:

١. انطلقت السحب وتجمعت فوق نهر الأردن، وكأنها أرادت أن تكون خدرًا لهذا العريس الممجد.

٢. تجمع الضباب حوله ليكون أشبه بستائر قصره الملكي، الذي يستقبله عند صعوده من النهر.

٣. بسط الآب المجد والبرق العجيب في الجو ليعلن عن مجد العريس ابنه الوحيد الجنس.

٤. ظهرت ألوان بهية تحيط بالنهر.

٥. شق صوت الآب السماء معلنًا عن العريس الابن المحبوب.

٦. استقر عليه روحه القدوس غير المنفصل عنه على شكل حمامة، مؤكدًا أن صوت الآب يخص رب المجد يسوع. وكأن الروح القدس هو إصبع الآب، به أشار على ابنه المحبوب.

٧. يطلب الناموس شهادة اثنين فأكثر، لذا شهد له الآب والروح القدس.

❖ كان الروح حاضرًا في النار بقوة، ليستقبل العريس في المياه بسموٍ.

اضطرم المجد اللائق من كل الجهات، وبإكرام صنع احتفالاً مهوبًا لابن الملكوت.

طافت سحب النور من الأقاصي ووقفت هناك، لتصير خدرًا للعريس المجيد الذي نزل ليعتمد.

خرج الضباب مثل ستائر القصر الملكي، ليُستقبل فيها ابن الملك عند اغتساله.

بسط الآب الثياب المنتخبة فوق الهواء: البهاء، والمجد والبروق العجيبة والضباب.

أُحيط النهر بالألوان العجيبة التي لا تُلمس، ليُعظم عرس ابنه الوحيد.

شق السماء، ورفع صوته بقوة: "هوذا ابني، هذا بالحق حبيبي" (مت ٣: ١٧؛ مر ١: ١١؛ لو ٣: ٢٢).

طار الروح من عند الآب بعجبٍ عظيمٍ، وحلّق ونزل واستقر ومكث على حبيبه (مت ٣: ١٦؛ مر ١: ١٠؛ لو ٣: ٢٢).

جاء بوداعة بشبه جسم حمامة، ليصنع هناك عشّه ويضعه في مياه المعمودية.

من الطيور لبس نمط الحمامة البسيطة، وفي بساطتها جاء ليشهد للصادق.

حين أُرسل نزل ليس ليقدس الابن، لأن الكلمة المسجود له لم يكن ناقصًا ليقدس ذاته.

لم يرش القداسة على القدوس، بنزوله قدم شهادة للمخلص حين ظهر.

أصبح الروح أصبغًا للآب، وبه أظهر: "هذا هو ابني، فلا تتشككوا في مجيئه".

لو لم ينزل الروح على الصادق، من كان يعرف أين كان قد استقر صوت الآب؟

مع الكلمة التي لُفظت من قبل العلي، أظهر الروح كما لو كان بالأصبع بأن هذا هو الملك...

كانوا يسمعون الصوت: "هذا هو حبيبي"، وتساءلوا: على من قال (هذه العبارة)؟

نزل الروح ليستقر عليه بطريقةٍ مقدسةٍ. أما هو فلم تنقصه القداسة ليصير كاملاً بها.

يطلب الناموس أيضًا شاهدَين، فلا يُقبل واحد وحده ولو كان صادقًا.

شهد الآب والروح معًا للوحيد، ليؤديا الواجب شرعيًا للواحد الصادق...
شق صوت الآب السماء وخرج منها، ووقف بحر النور اللامحدود على النهر.
جاء الروح وحمل على جناحيه مجدًا عظيمًا، وغرقت البرية بالبهاء المنسكب من العلي[1].

القديس مار يعقوب السروجي

الكنيسة تطالب داود أن يفسر مزموره (مز ٧٧: ١٦-١٧)

باسم الكنيسة المقدسة يقف القديس أمام هذا المنظر العجيب حيث يتناغم العلو مع العمق. ففي العلوٍ دوى صوت الآب معلنًا أمجاد ابنه، وفي العمق التهبت مياه النهر في رعدةٍ.

دعت الكنيسة داود النبي، مرتل إسرائيل الحلو، لينشد تسبحة وليمة العرس. طلبت منه أن يتحدث عن الوليمة بوضوح، فلم يعد يُوجد مجال للرموز. رتل داود النبي مزموره (مز ٧٧: ١٦-١٧)، فقال: "أبصرتك المياه يا الله، أبصرتك المياه ففزعت، ارتعدت أيضًا اللجج. سكبت الغيوم مياها، أعطت السحب صوتًا. أيضًا سهامك طارت". انضم زكريا النبي إلى داود المرتل، وأعلن عن شخص العريس أنه "الشرق" أو "إشراق"، إذ نشر أشعته في كل الجهات بكونه شمس البرّ.

❖ تعجبت الكنيسة عروس النور من العريس الملك، إذ تصالح العلى والعمق باغتساله.
رأت النهر ملتهبًا تمامًا بجداوله الجارية المرتعبة، وسمعت صوت الآب يصرخ بخصوص حبيبه.
أرسلت ودعت كنارة الروح – داود – ليأتي ويرتل تسابيح مناسبة لوليمة العرس.
هلم يا ابن يسى، وأحضر معك تسابيحك، لنفرح اليوم في وليمة عُرس ربك وابنك.
صفِّ أنغامك بوضوحٍ، وامدد أوتار قيثارتك، ورتل تسابيح واضحة تبهجني.
حين ترتل لا تحدثني رمزيًا، أفصح عن كلمتك، وليدوي الحق في ألحانك.
اكشف وفسر لي لماذا يرتجف النهر؟ وأية قوة غصبت العمق فخاف واندهش؟
ما معنى الصوت: ها إنه ينزل من العلى إلى العمق، ولماذا هذه البروق المتواترة التي ألهبت الهواء؟ رتل داود ألحان الحمد للعريس، ليفسر الحدث للكنيسة كما كان.
اللهم رأتك المياه وخافت، واللجج أيضًا ارتعبت ورشّت سحب الهواء المياه (مز ٧٧: ١٦-١٧).
طبيعة المياه كلها شعرت بأنك افتقدتها: البحار، واللجج، والأنهار، والعيون، والمستنقعات.
ازدحمت على بعضها بعضًا للتبارك من خطواتك، لأن إشراقك العظيم عليها أرعبها.
مشيتَ على الأردن كما لو كان على رأس كل البحار، فخافت من قوتك أعماق اللجج والأمواج.
تحركت طبيعة المياه كلها بنزولك، لأن بمعموديتك أهلت الكل للغفران.

[1] راجع المراجع السابقة.

مياه البحر البعيدة لم تعد بعيدة، لأن قوة قداستك نزلت سريًا وافتقدتها.
لهذا رأتك المياه وخافت، واللجج أيضًا ارتعبت، لأنك أفزعتها بنزولك (مز ٧٧: ١٦).
رشت السحب المياه في النهر عندما كنت تعتمد، لئلا تُحرم هي أيضًا من نزولك.
أعالي السماوات صرخت عاليًا بواسطة أبيك السماوي، لتشعر الأرض بشهادته أنك الابن الوحيد.
بروقك أضاءت الأرض، فرأت النور البهي، لأن الأرض كانت مضطربة بالظلمة قبل أن تأتي.
رأتك المياه وخافت بكونك الرب، لأن وهج ضيائك ألهبها حين نزلتَ (فيها). عندما كان داود يرتل فسر هدف الخبر، وجاء زكريا وحثّ الكنيسة ليبرهن لها: هذا هو الرجل الذي قلتُ لك إن اسمه إشراق، أضاء واستنارت أقصى الجهات بأشعته (زك ٦: ١٢ الترجمة البشيطة)[١].

القديس مار يعقوب السروجي

يوحنا يضع يده على المسيح – اللهيب

تساءل كل أحد السمائيين في أعماقه: كيف تمتد يد الهشيم على رأس ذاك النار الآكلة؟! كيف لم تحترق هذه اليد، بينما نسجد نحن أمامه في خوف ورعدة؟ اليد التي من الطين تتحرك، بينما يمجده السمائيون بكل طغماتهم.

❖ اقترب يوحنا، وبسط يده على اللهيب، فلجأت طغمات المستيقظين (السمائيين) كلٍ للآخر بسبب الخوف.
تحير العساكر من الأعجوبة التي رأوها، إذ كان الهشيم يمسك جمرة النار ولم تحترق. تحير السمائيون بالآية المخيفة التي تمت هناك، إذ لم تتضرر اليد اللحمية باللهيب.
يستر السيرافيم وجوههم من لهيبه، ويد الطين المجبولة موضوعة على رأسه.
أمسكت اللبنة المطبوعة من الطين البحر، ووضعت يدها على الموج ولم تذب.
إنه لقول عجيب: يخافه النورانيون، ونزل إلى العماد بواسطة يمين ابن العاقر (يوحنا).
المحمول على الكاروبيم، والممجد على المركبة، والخفي عن المستيقظين، والمستتر عن الصفوف، والممجد بين الجموع، والمخوف من الطغمات.
الصفوف تحتجب، والجموع مرتبكة، والمراتب ترتعب، والقوات تخاف، والكراسي ترتجف، والألوف ترتعد.
لقد نزل اللهيب ليعتمد من التراب الذي جبلته يداه[٢].

القديس مار يعقوب السروجي

تكلم الآب شخصيًا وليس بواسطة المخلوقات

تكلم الآب بنفسه وليس خلال المخلوقات، ذاك الذي ليس له لسان بشري ملموس، ولا ينطق بلغة بشرية.

---

[١] راجع المراجع السابقة.
[٢] راجع المراجع السابقة.

لم يستحِ الآب أن يتحدث عن ابنه الوحيد الذي أخذ شكل العبد.

❖ انشقت السماء، وأعلن الآب عن حبيبه، وأشرق الروح، ووقف يشهد للابن الوحيد الجنس.
خرج الصوت من خدر الملكوت، ليعلن أن ابن الملك ليس غريبًا.
تحركت الكلمة الخفية التي ليست صادرة من الفم لتخرج وتشهد على المولود (من الآب).
أُعلنت تلك الكلمة الخفية عن الكل عندما كانت تهتف لذاك الخفي الذي جاء إلى الإعلان.
رعدَ صوت عال بدون لسان في السماء صدر من ذاك غير الهيولي عن حبيبه الذي تجسد.
في تلك اللحظة لم يتكلم خلال ملاك، ولم يكرز بفم أحد المستيقظين (الملائكة) المضطرم.
لم يقترض أية كلمة أو صوتًا من السمائيين، لأنه كان يتكلم من جوهره على وحيده.
بالحقيقة، تكلم الآب بشخصه ليبرهن أن ابنه كان صادقًا.
سُمعت بين الجموع كلمة جديدة، صوت عال لم يُنطق مثله أبدًا.
لحن لم يُزرع قط في آذان الناس، ورعد مخيف أسمع صوته بصورة فريدة.
لم يتكلم كتلك الكلمة في أي وقت، لأنه لم يكن له ابن آخر في إحدى الجهات.
رعَدَ القدير ليعبّر عن حبه لابنه بين الجموع، ويعرّفهم بأن ابنه هذا هو الصادق.
أُثيرت مراحم الأبوة بقوة نحو الابن الوحيد، ورتلت له لتبرهن بأنه حبيبه.
لم يستحِ اللاهوت الأسمى من الكل بأن يرى ابنه لابسًا الجسد، ومعتمدًا في المياه.
لم تصغر تلك العظمة عندما نزل المحبوب إلى العماد الذي كان يلزم للخلاص.
لم يكن فيه نقص يكتمل من المياه حتى يذكره الآب، ولا يعترف به بسبب نقصه.
كان كاملاً قبل نزوله كما بعد نزوله، وكانت مسرة الآب أن يعترف بابنه[1].

القديس مار يعقوب السروجي

نهاية الكهنوت اللاوي بيوحنا، وبداية الكهنوت الجديد بالمسيح

في مياه المعمودية لم يتسلم السيد المسيح كهنوتًا، إذ كهنوته السماوي ليس خارجًا عنه، إنما بعماده انتهت رسالة الكهنوت اللاوي وسلّم الكهنوت الجديد لتلاميذه كي يكهنوا به.

❖ دعته هذه العلة أن يأتي إلى المعمودية: وبه ينتهي سلطان الكهنوت (اللاوي)...
أودع الآب وثيقة لموسى على الجبل، وأرسل ابنه ليأخذها من يوحنا في المياه.
سُلم الكهنوت لسبط بني لاوي، وقام شبل يهوذا، وأخذها منه.
فاضت القداسة على جبل سيناء من العلي، وفاض على مخلصنا خلال يوحنا.
منذ بدايته صمم ربنا أن يكمل طريقه، لئلا يسلك سبيلاً آخر مثل غريبٍ.

[1] راجع المراجع السابقة.

ذاك الكهنوت الذي تسلسل من هارون، هو نفسه صدر من مخلصنا إلى العالم بواسطة الرسل.
لم يكن ناقصًا من الكهنوت، حتى يأخذها من المعمودية وبعدئذ يعطيها.
إنما كما منه وإليه صنع تجديدًا للأمور القديمة، لئلا يبلبل سبيل الحق الذي مهّده أبوه[1].

القديس مار يعقوب السروجي

لم يتعظم المسيح بكهنوت هارون ولا بملوكية داود

لم يوجد قط كاهن صار ملكًا في خدمة الشعب القديم، لأن الكهنة كانوا من سبط لاوي والملوك من سبط يهوذا. لقد وُجد سابقًا ملكي صادق ملك ساليم والكاهن كرمزٍ للسيد المسيح، ولم يُعرف أبوه وأمه. يقول الرسول بولس: فلو كان بالكهنوت اللاوي كمال إذ الشعب أخذ الناموس عليه، ماذا كانت الحاجة بعد إلى أن يقوم كاهن آخر على رتبة ملكي صادق، ولا يقال على رتبة هرون، وذلك أكثر وضوحًا أيضًا ان كان على شبه ملكي صادق يقوم كاهن اخر... لأنه يشهد أنك كاهن إلى الأبد على رتبة ملكي صادق... لأن أولئك بدون قسم صاروا كهنة وأما هذا فبقسمٍ من القائل له أقسم الرب ولن يندم أنت كاهن إلى الأبد على رتبة ملكي صادق (عب ٧: ١١-٢١).

كان الكهنوت اللاوي وملوكية داود يُعدان الطريق للسيد المسيح الكاهن السماوي وملك الملوك. لقد صبّ الاثنان فيه ليس عن احتياج وإنما من أجل البشرية، لكي تتعرف عليه خلال رمزهما له.

❖ لا تنصب كل الجداول والأنهار في المحيط لكونه ناقصًا من فيضه.
بالطبيعة تركض المياه إلى البحر وهو غير ناقص، وكل البحر لا يزيد عما هو عليه.
ليس لكون المسيح محتاجًا قَبِلَ (وضع) يد هارون، وليس لكونه ناقصًا أخذ الملوكية من بيت داود. **مشت الملوكية مع الكهنوت واستقرا عليه، وهو رئيس الأحبار (السماوي) وملك الملوك.**
نضحت وأتت القداسة، ووقعت عليه كالساقية في البحر الممتلئ، بينما لا ينقصه شيء.
جاءت الملوكية من بيت داود، وانسكبت عليه، بينما كانت ملوكيته أغزر من البحر.
صعد كما نزل بقداسة كما هو، وقد استُقبل في جناح الصوت من قِبَل أبيه.
حوَّط الروح العريس المعتمد بريش المجد، وتأكدت الكنيسة بأنه هو هو بالذات وسجدت أمامه.
أيها الكامل الذي جاء ليكمّل الناقصين بالمياه، ليفض حنانك العظيم على نقصي.
مبارك هو ذاك الذي جاء وبمسرته اعتمد من رسوله، وهو الذي قدَّس المعمودية، له المجد[2].

القديس مار يعقوب السروجي

---

[1] راجع المراجع السابقة.
[2] راجع المراجع السابقة.

أنواع المعموديات

في الميمر السابع "على **معمودية الناموس**، و**معمودية يوحنا**، و**المعمودية التي أعطاها ربنا للرسل**" يتكلم القديس مار يعقوب السروجي عن المعموديات في الناموس أنها لم تكن تعطي الروح. كما يؤكد أن معمودية المسيح هي **المعمودية الحقيقية**، وقد رمزت لها المعموديات التي جاءت قبلها.

١. **معمودية الناموس:** دورها أن يكتشف المؤمن أن طبيعته فسدت بالخطية، ويحتاج إلى المخلص الإلهي.

٢. **معمودية يوحنا:** أن المخلص جاء ليغفر لها خطاياها، ويتقدم لها عريسًا سماويًا تتمتع بحياة النصرة وبالأمجاد الأبدية. خلال كرازة يوحنا صارت العروس تنتظر المسيح، وتعرفت عليه بعد عماده، وحالاً دخل السيد المسيح في معركةٍ مع رئيس الهواء في البرية. ليصير لها حق النصرة على قوات الظلمة والخطية بالمسيح يسوع.

٣. **المعمودية التي أعطاها ربنا للرسل:** أعطى ابن الله معموديته لرسله، وفيها النار والروح القدس لمن ينزل فيها. فيها القوة، وتلد أبناء روحيين، يدعون الآب السماويَّ: أبانا. هذه المعمودية التي فتحها ابن الله تلد للآب أبناء جددًا، ليسوا مائتين.

معموديات الناموس

❖ الناموس أعطى المعموديات للمختونين، ولم تكن تعطي الروح القدس لجميع المعتمدين.

أمر الناموس: مَن يدخل ليرى الميت، عليه أن يغتسل بالمياه ويكون طيلة النهار دنسًا.

ومَن يمسك عظم الميت، عليه أن يغتسل بالمياه، ومَن يدنسه الاحتلام الليلي عليه أيضًا أن يغتسل.

أعطى الناموس المعموديات بصورٍ مختلفة ليرسم نمطًا للمعمودية التي تلد الأبكار.

معموديات الناموس كانت ظلالاً، ولم تكن تقرّب مَن كان يعتمد من الكمال.

أكبرها وأعظمها هي معمودية ابن الله، كما أن الجسم هو (أعظم) من الظل...

المعموديات الموجودة في الناموس هي ظِل، ومعمودية يوحنا هي (معمودية) التوبة.

معمودية ابن الله تلد الأبكار وتصنع أبناء ليصيروا إخوة الوحيد...

جاء المسيح، وبصليبه فتح المعمودية، لتصير أم الحياة للعالم بدل حواء.

جرى الماء والدم لصورة الأجنة الروحيين، فصارت المعمودية أم الأحياء[١].

القدبس مار يعقوب السروجي

[١] راجع الميمر ٧ على معمودية الناموس، وعلى معمودية يوحنا، وعلى المعمودية التي أعطاها ربنا للرسل (راجع نص بول بيجان ترجمة الدكتور بهنام سوني).

معمودية يوحنا مهدت الطريق ليخطب العروس لابن الله

❖ مشى (ربنا يسوع) من مرحلة إلى أخرى مثل التاجر الحامل الحياة ليوزعها بين الموتى.

حلّ في **المرحلة الأولى في مريم**، وجاء إلى الولادة ليتفقد العالم مثل إنسانٍ.

المرحلة الثانية هي المعمودية: حلّ فيها ليُلبس السلاح للمحاربين.

صار يوحنا صوتًا في البرية ليمهد الطريق، وفتح بابًا يُدخل الإنسان إلى بيت الله...

جاء **يوحنا** ليخطب العروس لابن الله، واستعد ليغسل درنها ثم تُخطب.

انزلها إلى المياه، وغسلها بالتوبة لتكون طاهرة، وبعدئذ ترى العريس الملك.

نقاها في النهر ونزع عنها الخجل لئلا يراها الختن متسخة، لأنه يحب الجمال.

بالمعمودية جعلها طاهرة ونقية، ثم ادخلها إلى خدر العريس وهي مقدسة.

ولهذا ركض ابن اللاويين إلى النهر، ليهيء من المياه العروس المملوءة جمالاً...

بشرّها بعظمة الملك ربها، وبدون انقطاع كان يكرز لها بأنه سماوي...

كان يوميًا يضرمها بمحبته لتنتظره، وكان العريس مخفيًا، ولم تكن العروس تعرف مَن هو.

تعلمت من يوحنا بأنه عظيم وممجد، وبأن المسيح مخفي، والبرية تشتعل بحبه لتراه[1].

القديس مار يعقوب السروجي

[1] راجع الميمر ٧ على معمودية الناموس، وعلى معمودية يوحنا، وعلى المعمودية التي أعطاها ربنا للرسل (راجع نص بول بيجان ترجمة الدكتور بهنام سوني).

اسمح لي أن أتمتع بحديثك مع نيقوديموس[1]

بين المعموديات الثلاث: موسى ويوحنا ورب المجد يسوع!

❖ هب لي يا سيدي أن أَتمتَّع بحديثك مع نيقوديموس (يو ٣: ٣-٦)!
كيف أُولَد من فوق، فأرى ملكوت السماوات؟! كيف أُولَد من الماء والروح فأَدخل الملكوت؟!
كيف من يولد من الروح فهو روح (يو ٣:٣-٦)؟!

❖ أَرسلت العظيم في الأنبياء موسى المُمَجَّد،
قدّم معمودية موسى التي مع عظمتها، احتاجت إلى ذبائح حيوانية كثيرة، لكل ذبيحة طقسها!
واقتصرت على شعبٍ دون سائر الشعوب. وكانت رمزًا لغفران بعض الخطايا والرجاسات!

❖ أرسلت ملاكك يوحنا المعمدان يهيئ الطريق أمامك.
معموديته لم تتطلب ذبائح حيوانية، ولا حَدَّدت أنواعًا من الخطايا، وجاءه من كل الكور واليهودية.
فاقت معموديته معمودية موسى. لكنني أسمعه بقلبٍ منكسر يقول عنك.
أنا أُعَمِّد بالماء، وأما الذي يأتي بعدي، فهو سيُعَمِّد بالنار والروح!
الذي لست أهلاً أن أنحني وأحل سيور حذائه!

❖ تبقى أنت مع أبيك الصالح وروحك القدوس، سرّ حياتي وخلاصي وميلادي الجديد ومجدي.
اسمح أن تكشف لي عن سرّ ميلادي الجديد هذا!

روحي القدوس يقودك إلى الميلاد الجديد

❖ من أجلك يا ابني تقدَّمت لأعتمد من يوحنا، أُتَمِّم كل برّ،
فيقودك روحي القدوس إلى جرن المعمودية. هناك تتحقَّق المولود من الروح روح هو،
هذا هو عمل روحي القدوس. أن تُدفَن معي، فتموت عن إنسانك القديم،
وتتمتَّع بالإنسان الجديد الذي يحمل قوة قيامتي. روحي يهبك الشركة معي، فتُبهَر السماء بك!

أتلقفك لأسترك بي، فأكون لك برًّا وفداءً وقداسة!

❖ في مياه المعمودية قد دُفِنت معي، لا أتركك أيها المولود الجديد عريانًا.
أَصير لك لباسًا تختفي فيَّ وأنا أسترك (غل ٣: ٢٦؛ كو ٣:٣). أصير لك برًا وفداءً وقداسة.
يتطلع إليك الآب السماوي فيراك كلي الجمال. عوض خطاياك، يرى برّي يملأك بهاءً.

---

[1] الكاتب: كنيسة الملكة القديسة مريم والأمير تادرس، ساوث برانذويك، رسالة عيد الغطاس المجيد، عيد الظهور الإلهي، يناير ٢٠١٣م

عوض الخطية، أصير لك قداسة! يا للجمال الذي حلَّ بأعماقك، فصارت سماءً.
ماذا يعوزك يا موضع حب الثالوث القدوس!

الآب يعتزُّ بك!

❖ الآن وقد مُتْ على ميلادك الأول، وتمتعت بالميلاد الثاني بروحي القدوس.
الآن وقد تلقَّفتك نعمتي، فصرتُ لك لباسًا سماويًّا. الآن أنا هو برّك وقداستك ومجدك.
هوذا الآب السماوي الذي وهبك البنوة له، يدعوك: كن كاملاً كما أن أباك السماوي هو كامل (مت ٥: ٤٨)!
أنت يا ابني موضع حب رب السماء نفسه: الآب والابن والروح القدس!

(من وحي القديس باسيليوس الكبير)

المحتويات

المصادر ٤
عماد السيد المسيح ووليمة العرس الأبدي ٥
عرس سماوي فريد! ٨
العريس يُعدّ حفل الزفاف عند الأردن في البرية ٨
القديس يوحنا المعمدان يدعو العروس ويزينها ٨
إشعياء النبي معلم العروس ٩
إشعياء يرد على الكنيسة ١٠
ظنت الكنيسة بأن يوحنا هو العريس ١٠
انتظار الكنيسة والمعمدان للعريس الحقيقي ١١
يوحنا ينتظر العريس ١١
العروس المزينة بجمال التوبة والمدعوون ينالون الثوب الأبيض بالروح القدس ١٢
لماذا بدا العريس كمن تأخر ١٣
يوحنا يعلن عن المسيح للكنيسة ١٤
داود يشرح للكنيسة عن العريس ١٤
يوحنا يرفض أن يعمد المسيح ١٥
المسيح يعتمد لشفاء آدم ١٥
النعمة التي دعت الرب إلى الولادة دعته ليعتمد ١٦
لا تصير لك إضافة من المعمودية، فلماذا تهتم لتنزل وتغتسل؟ ١٧
المسيح يؤكد بأن المياه محتاجة إلى التقديس ١٧
كيف أعمدك مثل البقية يا مُعمد الكل؟! ١٨
يوحنا يعمد المسيح صامتًا ١٩
جمرة النار نزلت لتغتسل بين الأمواج! ٢٠
عظمة الاحتفال الإلهي بالعريس السماوي ٢١

الكنيسة تطالب داود أن يفسر مزموره (مز ٧٧: ١٦-١٧) ٢٢
يوحنا يضع يده على المسيح – اللهيب ٢٣
تكلم الآب شخصيًا وليس بواسطة المخلوقات ٢٣
نهاية الكهنوت اللاوي بيوحنا، وبداية الكهنوت الجديد بالمسيح..... ٢٤
لم يتعظم المسيح بكهنوت هارون ولا بملوكية داود ٢٥
أنواع المعموديات **٢٦**
معموديات الناموس ٢٦
معمودية يوحنا مهدت الطريق ليخطب العروس لابن الله ٢٧
بين المعموديات الثلاث: موسى ويوحنا ورب المجد يسوع! ٢٨
روحي القدوس يقودك إلى الميلاد الجديد ٢٨
أتلقفك لأسترك بي، فأكون لك برًّا وفداءً وقداسة! ٢٨
الآب يعتزُّ بك! ٢٩

جاء يوحنا ليخطب العروس لابن الله،
واستعد ليغسل درنها ثم تُخطب.
انزلها الى المياه،
وغسلها بالتوبة لتكون طاهرة،
وبعدئذ ترك العريس الملك،
بالمعمودية جعلها طاهرة ونقية،
ثم ادخلها الى خدر العريس
وهي مقدسة.
بشرّها بعظمة الملك ربها،
وبدون انقطاع كان يكرز لها بانه سماوي.
كان يوميًا يضرمها بمحبته لتنتظره،
وكان العريس مخفيًا،
ولم تكن العروس تعرف من هو.
تعلمت من يوحنا بانه عظيم وممجد،
وبان المسيح مخفي،
والبرية تشتعل بحبه لتراه.

القديس مار يعقوب السروجي

KEROLLOUS MAGDY